جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس

قسم اللغة العربية وآدابها

سنة ثانية دراسات أدبية الأستاذة :شادية بن يحي

المحاضرة الثالثة : النقد البينوي

على الرغم من أن البينوية تأسست على المباديء التي قامت عليها الألسنية ،فإن ظهورها في حدّ ذاته اعتبر حركة أدبية مهمة ومؤثرة خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي، وكان من أهم دعاتها "أبي جي –جريماس" و"امبرتو إكو" و" تفزتان تودوروف" و"رونالد بارت بارت" و"جيرارد جانيت" وغيرهم كثير

وإتجه بنوبست ((1976 إلى بحث البنيوية على أنها صيحة جديدة في عالم الأدب ،ووافقته آن جيفرسون على ذلك 1989 مركزة على أن البينوية نمت خارج إطار النظام الجامعي وفي إطار الجمعيات الأدبية الهامشية ،ولم تكن الحركة تستهدف أن تضيف أي شيء إلى الدراسات الأدبية التقليدية وخاصة في الجامعات التي اعتادت على أشياء معينة في تدريس الأدب وانما استهدفت أن تقتلع تلك الاتجاهات من جذورها .

تقول آن جيفرسون :"لا يمكن أن تعتبر البينوية وسيلة جديدة يمكن اللجوء إليها عندما تفشل المناهج الأخرى ،إنها حركة ثورية في اتجاهاتها التي تشمل طائفة كبيرة من العلوم الأكاديمية في مجال الآداب والعلوم الطبيعية ،ولكن ما يعتبر مظهرها الثوري القوي هو ما تضفيه على اللغة من أهمية ،ولا تعتبر اللغة فقط المجال الذي يهتم به البنيويون ،إذ اللغة نفسها استخدمت كنموذج يقيس عليه البنيويون كثير من اهتماماتهم في تحليل المؤسسات والعلوم غير اللغوية "(1).

**تعريف البنيوية:**

لتوضيح مفهوم مصطلح البنيوية لا بد أولًا من الوقوف على الدلالة اللغوية له، فبالعودة إلى المعاجم اللغوية يتبيَّن أنها تحدَّرت من "بَنى يبْني بناءً"، فهي إذن الصورة أو الهيئة التي شُيِّد عليها بناءٌ ما، وكيفية ذلك التركيب (2) ، ولا يعني ذلك عملية البناء نفسها أو الموادَّ التي تتكون عملية البناء منها؛ وإنما تعني كيفية تجميع هذه الموادِّ وتركيبها وتأليفها لكي نكوِّن شيئًا ما ونخْلقه؛ بهدف تأدية وظائف وأغراض معينة.

أما على صعيد المعنى الاصطلاحي الوضعي، فالبنيوية هي النظر في التصميم الداخلي للأعمال الأدبية بما يشمله من عناصرَ رئيسةٍ تتضمن الكثير من الرموز والدلالات، بحيث يتبع كلُّ عنصر عنصرًا آخَر.

**نشأة البنيوية :**

نشأت البنيوية في فرنسا، في منتصف الستينيات من القرن العشرين عندما ترجم (تودوروف) أعمال الشكليين الروس إلى الفرنسية. فأصبحت أحد مصادر البنيوية.

أول مصادر البنيوية وأهمها هي حركة الشكلانيين الروس، والتي ظهرت في روسيا بين عامي 1915 و1930، وقد دعت إلى العناية بقراءة النص الأدبي من الداخل؛ لأن الأدب من منظورهم يُعدُّ نظامًا ألْسُنِيًّا ذا وسائط إشارية (سيميولوجية) للواقع، وليس انعكاسًا للواقع. ولذلك استبعدوا علاقة الأدب بالأفكار والفلسفة والمجتمع والتاريخ.

أما المصدر الثاني فـ "هوالنقد الجديد الذي ظهر في أربعينيّات القرن العشرين وخمسينياته في أمريكا، فقد رأى أعلامُه أن الشعر هو نوع من الرياضيات الفنية [عزرا باوند]، وأنه لا حاجة فيه للمضمون، وإنما المهم هو القالب الشعري [هيوم]، وأنه لا هدف للشعر سوى الشعر ذاتِه "جون كرو رانسوم"(3).

وأما المصدر الثالث فهو ذيوع صيت علم اللسانيات الحديث، والذي يتقاطع مع المدرسة الشكلانية الروسية، ولعل هذا المصدر هو أهمُّ مصادر البنيوية، ولا سيما "ألسنية دي سوسير" الذي يُعد رائد الألسنية البنيوية، بسبب محاضراته (دروس في الألسنية العامة) التي نشرها تلامذته عام 1916 بعد وفاته، وعلى الرغم من أنه لم يستعمل كلمة (بنية) فإن الاتجاهات البنيوية كلها قد خرجت من ألسنيَّته، فيكون هو قد مهَّد لاستقلال النص الأدبي بوصفه نظامًا لغويًّا خاصًّا، وفرَّق بين اللغة والكلام: فـ(اللغة) عنده هي نتاج المجتمع للملكة الكلامية، أما (الكلام) فهو حدَث فردي متصل بالأداء وبالقدرة الذاتية للمتكلم[[4]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftn5).

وأما المصدر الرابع فهو ما يسمَّى "حلقة براغ"، وهي حلقة دراسية مكوَّنة من ثلة من علماء اللغة في براغ - عاصمة التشيك، وهذه الحلقة وإن كان زعيمها "ماتياس" لكن المحرِّكَ الرئيسَ لها هو نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية "ياكبسون" الذي تنقَّل بين روسيا وبراغ والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، فكان أينما حلَّ بشَّر بآرائه، وكان له دَور فعَّال في نشر الوعي بالنظرية الجديدة وترسيخها في أوساط المثقفين، ومن هنا التقط علماء حلقة براغ مشعل الدراسات اللغوية الحديثة الذي صبَّ سوسير زَيْتَه ونسجتْ الشكلية خيوطه، وأخذوا يتحدَّثون بشكل صريح متماسك عن بنائية اللغة[[5]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftn6)

و في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين التقت آراء العالم السويسري (فردنياند سوسور) بالتيارات النقدية السائدة في اوربا ليبرز تيار الفكر البنيوي في الدرس النقدي المعاصر والحديث .،والحقيقة ان “الجذور البنيوية تضرب بعيداً في القدم منذ ارسطو والجاحظ والعسكري والجرجاني وقدامة وابن طباطبا وهيغل وماركس ، حتى اشتهر قال بعضهم :”لنقل صريحاً: البينوية ليفي شتراوس” عمل عليها ليفي شتراوس وعرف بها ميشال فوكو ولاكان والتوسير وجان بياجيه وغيرهم.

ففي القرن التاسع عشر نادى الباحث الاجتماعي " دوركايم "بالنظرية المسماة "العقل الجمعي"، ودعا إلى دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها "أشياء مستقلة"، وتبعاً لذلك ظهر الباحث اللغوي السويسري "فرديناد دي سوسيور " بنظريته في "ظاهرة اللغة"، حيث جرد اللغة من دلالاتها الإشارية المألوفة وعدها نظاماً من الرموز يقوم على علاقات ثنائية، ومن هنا ظهرت فكرة "البنية".

**مفهوم البنيوية و مدارسها :**

من أبرز ما قرره سوسيور بقوة مبدأ "اعتباطية الرمز اللغوي" وهو ما يعني أن أشكال التواصل الإنساني ما هي إلا أنظمة تتكون من مجموعة من العلاقات التعسفية أي: العلاقات التي لا ترتبط ارتباطاً طبيعياً أو منطقياً أو وظيفياً بمدلولات العالم الطبيعي" وأن "كل نظام لغوي يعتمد على مبدأ لا معقول من اعتباطية الرمز وتعسفه" أي: تماماً كما يعتبط العقل الجمعي عند "دوركايم " ويتعسف فيفرض على الناس ما هو خارج عن ذواتهم، ومن هنا انبعثت فكرة "السيمولوجيا" أي علم الدلالة، أو العلامة والإيحاء، وتطورت فيما بعد .

و يعتبر( جاكبسون ) من المدرسة الروسية الشكلية التي من أهم آرائها "تحرير الكلمة الشعرية من الاتجاهات الفلسفية والدينية والانطلاق من "دراسة العمل الأدبي في ذاته"، فهي تؤكد "أن العمل الأدبي يتجاوز نفسية مبدعه، ويكتسب خلال عملية الموضعة الفنية وجوده الخاص المستقل" .

وتؤكد أن "العمل الفني لا يتطابق بشكل كامل مع الهيكل العقلي للمؤلف ولا المتلقي"، أو كما يقول: "موخارو فسكي : "فإن الأنا الشاعر لا ينطبق على أية شخصية فعلية ملموسة، ولا حتى شخصية المؤلف نفسه، إنه محور تركيب القصيدة الموضوع.

و تعني البنيوية عند جورج لوكاش : استخدام اللغة بطريقة جديدة بحيث يثير لدينا وعياً باللغة من حيث هي لغة، ومن خلال هذا الوعي يتجدد الوعي بدلالات اللغة، هذا الوعي الذي تطمسه العادة والرتابة .

و قد حدد لوسيان جولدمان (1913-1970) البنوية التوليدية على أنها المنهج الذي يحلل النص الأدبي بوصفه بنية إبداعية تخبئ تحتها بنية اجتماعية،. وقد أصدر جولدمان عدداً من الكتب المتصلة بقناعاته البنيوية منها: الإله الخفي وعلم اجتماع الإبداع الأدبي ومن أجل علم اجتماع الرواية .

و نرى أن ثمة علاقة بين العلوم المختلفة و البنيوية , خاصة علم الاجتماع وعلم النفس واللسانيات

يمكننا اختصار مفهوم البنيوية في مقولة "ميشيل بريكس" : أما المنهجية البنيوية الشكلانية فتهتم فقط بالنسيج اللغوي للنص وتدرسه بذاته ولذاته مهملة صاحبه أو مؤلفه. وهي تنطلق من القناعة التالية: النص هو وحده المهم ولا يفيد في شيء أن نتعرف على حياة مؤلفه لكي نفهمه. وهذا الموقف المتطرف في النقد الأدبي ساد في فرنسا لفترة ولكنه تراجع وانحسر الآن.

و يرى جميل حمداوي أن البنيوية طريقة وصفية في قراءة النص الأدبي تستند إلى خطوتين أساسيتين وهما: التفكيك والتركيب ، كما أنها لا تهتم بالمضمون المباشر، بل تركز على شكل المضمون وعناصره وبناه التي تشكل نسقية النص في اختلافاته وتآلفاته. ويعني هذا أن النص عبارة عن لعبة الاختلافات ونسق من العناصر البنيوية التي تتفاعل فيما بينها وظيفيا داخل نظام ثابت من العلاقات والظواهر التي تتطلب الرصد المحايث والتحليل السانكروني الواصف من خلال الهدم والبناء أو تفكيك النص الأدبي إلى تمفصلاته الشكلية وإعادة تركيبها من أجل معرفة ميكانيزمات النص ومولداته البنيوية العميقة قصد فهم طريقة بناء النص الأدبي.

ومن هنا، يمكن القول : إن البنيوية منهجية ونشاط وقراءة وتصور فلسفي يقصي الخارج والتاريخ والإنسان وكل ماهو مرجعي وواقعي ، ويركز فقط على ماهو لغوي و يستقرىء الدوال الداخلية للنص دون الانفتاح على الظروف السياقية الخارجية التي قد تكون قد أفرزت هذا النص من قريب أو من بعيد. و يعني هذا أن المنهجية البنيوية تتعارض مع المناهج الخارجية كالمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي والمنهج التاريخي والمنهج البنيوي التكويني الذي ينفتح على المرجع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتاريخي من خلال ثنائية الفهم والتفسير قصد تحديد البنية الدالة والرؤية للعالم

و تقوم البنيوية على فكرة إعادة انتاج الواقع من خلال إقامة الأنموذج الذي يحدده المحلل نفسه، وهذا الأنموذج سيكون قابلاً للمقارنة مع الشيء الخاضع للدراسة، وإذا مضينا أكثر لتفهم البنائية فعلينا أن نلجأ إلى واحدة من الآليات التي تستخدمها وهي المقابلات الضدية.

يقرر صلاح فضل أن التعريف الأول للبنائية: "يعتمد على مقابلتها بالجزئية الذرية التي تعزل العناصر وتعتبر تجمّعها مجرد تراكب وتراكم، فالبنائية تتمثل في البحث عن العلاقات التي تعطي للعناصر المتحدة قيمة وضعها في مجموع منتظم

**أدبية الأدب : المبدأ الرئيس في البنيوية :**

إن حركة الشعراء المستقبلين في روسيا، وكتابات الرومانسيين الألمان توجه اهتمام النظرية الأدبية نحو التركيز على جانب الانسجام الداخلي للنصوص الأدبية، وستفسح المجال للإعلان عن ميلاد علم للأدب، منذ أن طلق جاكبسون عام 1919 مقولته التي أصبحت فيما بعد كبيان يختزل عمل الشكلانين والشعرين والبنيويين حيث قال " ليس موضوع علم الأدب هو الأدب وإنما الأدبية أي ما يجعل من عمل ما عملاً أدبياً . فما المقصود بالأدبية ؟ يجيب تودوروف في كتابه- الشعرية -عن تحديد هذا المفهوم المركزي بقوله " ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة، ليس العمل إلا إنجازاتها الممكنة ولكل ذلك فان هذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن،

وبعبارة أخرى يعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية .

يلعب للمؤلف نفس الدور الذي كان يلعبه في النقد السيري، لأن ما يشكل موضوع الدراسة الأدبية ليس الأعمال الأدبية المفردة وإنما الأدبية، بحيث أن العمل الأدبي يرتبط بالنسق الأدبي بصورة عامة وليس بشخصية مؤلفة، فالشاعر في النظرية الشكلانية لم يعد ينظر إليه كصاحب رؤى أو عبقرية وإنما نظر إليه " كعامل ماهر يرتب، أو بالأحرى يعيد ترتيب المادة التي يصادق وجودها في متناوله، إن وظيفة المؤلف هي أن يكون على معرفة بالأدب، أما ما يعرفه عن الحياة أو ما لا يعرفه، فأمر غير ذي أهمية لوظيفته تلك ، إن هذا التصور يذكرنا بالمنجز النقدي العربي القديم خصوصا عند نقادنا الذين قالوا بأن الشعر صناعة وأن الشاعر يقوم بوظيفة السبك والصوغ ولا اعتبار بالمادة التي يصوغ فيها.

و حول نظرية ( موت المؤلف ) التي تعوّل عليها البنيوية كثيرا ذلك في أن المنهج البنيوي يرفض النظرة التي ترى أن المؤلف هو منبع المعنى في النص ، وصاحب النفوذ فيه ، يرفض ذلك ويؤكد أن الكاتب لا دور له يذكر ؛ فلم يقم بعمل يستحق الثناء والمدح ، وكل ما قام به هو استخدام اللغة التي هي حق مشاع ، وأنه عندما أنشأ النص أنشأه على طريقة من سبقه ، فلم يأت بجديد بل قلد من سبقه في هذا الفن فهو اتجاه يركز على اللغة وكيفية عملها ودلالاتها ، وبذلك يخرج المؤلف خاوي الوفاض ، لا هو مبدع ولا هو عبقري ، وإنما هو مستخدم للغة لم يبتدعها ، وإنما ورثها مثلما ورثها غيره .

فمع انتشار الاتجاهات النقدية الجديدة مثل " البنيوية وما بعدها " لم يعد ينظر إلى المؤلف بوصفه منشئ النص ومصدره ، كما لم يعد هو الصوت المتفرد الذي يعطي النص مميزاته ، فالذي تتحدث وتنطق هي اللغة وليس المؤلف أو صوته .

**البنيوية في العالم العربي :**

لم تظهر البنيوية في الساحة الثقافية العربية إلا في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات عبر المثاقفة والترجمة والتبادل الثقافي والتعلم في جامعات أوربا. وكانت بداية تمظهر البنيوية في عالمنا العربي في شكل كتب مترجمة ومؤلفات تعريفية للبنيوية ( صالح فضل، وفؤاد زكريا، وفؤاد أبو منصور، وريمون طحان ، ومحمد الحناش، وعبد السلام المسدي، وميشال زكريا، وتمام حسان، وحسين الواد، وكمال أبوديب....) ، لتصبح بعد ذلك منهجية تطبق في الدراسات النقدية والرسائل والأطاريح الجامعية.

ويمكن اعتبار الدول العربية الفرانكوفونية هي السباقة إلى تطبيق البنيوية وخاصة دول المغرب العربي ولبنان وسوريا ، لتتبعها مصر ودول الخليج العربي.

ومن أهم البنيويين العرب في مجال النقد بكل أنواعه: حسين الواد، وعبد السلام المسدي ، وجمال الدين بن الشيخ، وعبد الفتاح كليطو، وعبد الكبير الخطيبي، ومحمد بنيس، ومحمد مفتاح، ومحمد الحناش، وموريس أبو ناضر، وجميل شاكر، وسمير المرزوقي، وصلاح فضل، وفؤاد زكريا، وعبد الله الغذامي.

**نهاية البينوية:**

يقول الناقد السوري محمد عزام: "إذا كان البنيويةقد انطلقت في النصف الثاني من القرن العشرين فملأت الدنيا وشغلت الناس، فإنها بدأت بالتراجع منذ إضرابات الطلاب الراديكالية في فرنسا عام 1968؛ مما جعل البنيويين يعيدون النظر في مواقفهم ومنهجهم الذي خرجت من رحمه مناهج نقدية عديدة كالأسلوبية، والسيميائية، والتفكيكية، بالإضافة إلى الألسنية، التي هي عماد هذه المناهج النقدية جميعًا"[[6]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftn17).

وبهذا يمكن القول: إن البنيوية قد بدأت بالانهيار في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وظهر مكانها في فرنسا ما اصطلح على تسميته «ما بعد البنيوية»، وكان رولان بارت وجاك ديريدا أهم فلاسفتها، وكان بارت قد تحول عن [البنيوية](http://www.almerbad.net/showthread.php?t=6032) إلى ما بعد البنيوية، وانتقل في دراسته من أهمية الكاتب في تركيب النص الأدبي باعتماد معايير وبِنًى جاهزة الصنع إلى دور قارئ النص في توليد معانٍ جديدة لا نهاية لها. يؤكد بارت في كتابه «متعة النص» (1975) أنه في غياب الكاتب تصبح عملية إيجاد تأويلات للنص عملية عبثية لا نهاية لها، لكنها ممتعة، وتأتي المتعة من امتلاك النص لإمكانات «اللعب» بالمعاني، ولكن هذا لا يعني تخلِّيًا فوضويًّا عن كل القيود، وإنما تفكيكًا وهدمًا منظَّمين لإنتاج معانٍ أخرى، وكأن القارئ يعيد كتابة النص، فيصبح منتِجًا له وليس مستهلِكًا، وهذا أساس المذهب التفكيكي، الذي طوره ديريدا، وهو أساس «ما بعد البنيوي[[07]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftn18).

كما أنَّ كثيرًا من المفكرين والفلاسفة لم يتقبلوا البنيوية - على الرغم من انتشارها السريع - بل وصفوها بالمنهج اللا إنسانيِّ، ومن أبرز مَن واجهها ونقد روَّادها وأسهم في تقويضها: الفيلسوف الفرنسي لوك فيري.

ومما يدلل على عدم جدوى هذا المنهج وضرورة التخلص منه أن بعض أبرز روَّاده قد تحوَّلوا عنه وتطوَّروا - كما سلَفَ ذِكره.

ويرى الناقد البريطاني ليونارد جاكسون أنَّ تغيُّرًا في أسلوب المعرفة قد حصل في الواقع[[8]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftn19)، كما يصرِّح بالسبب الذي أودى بالبنيوية وأَمَاتَها هو أنها منهج ينطوي على تناقضات، على الرغم من أنَّ أصحابه أرادوه أن يكون متمتِّعًا بخصائص الكمال والتماسك، "في حين أنَّ أي نظرية ترمي إلى الكلِّيَّة هي مستحيلة من حيث المبدأ"[[9]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftn20).

بهذا العرض الموجز للمنهج البنيوي، أو المدرسة البنيوية، يمكن للدارس الوقوف على أهم المفاصل المتعلقة بهذا المنهج، من حيث المفهومُ، والنشأةُ - تاريخها وعواملها، وأبرز رواد هذه المدرسة، كما تم بيان أهم الأهداف والأفكار التي حملتْها البنيوية، وأخيرًا أسباب انهيارها وتقوُّضها.

أهم المراجع المعتمدة:

[[1]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftnref1)يوسف نور عوض : نظرية النقد الأدبي الحديث، ط 1، 1994،دار الامين للنشر والتوزيع ،القاهرة ، ص22

[[2]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/#_ftnref1)يُنظر: ابن منظور: **ﻟﺴﺎﻥ ﺍﻟﻌرب**. ﻁ1، ﺩﺍﺭ صاﺩﺭ، بيرﻭﺕ، 14/ 89

[[3]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftnref3) عزام، محمد: **تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية**. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص13

[[4]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/#_ftnref6) بلقاسم، محمد: **النقد البنيوي، الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص**. جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، 2009.

[[5]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/#_ftnref6) :المرجع نفسه

[[7]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftnref17) عزام، محمد: **تحليل الخطاب الأدبي**. مرجع سابق،ص9

[[8]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftnref18) ستروك، جون: **البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى ديريدا**. ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1996.

[[9]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftnref19) جاكسون، ليونارد: **بؤس البنيوية**. ترجمة: ثائر ديب، ط2، دار الفرقد، دمشق، 2008، ص167

[[10]](https://www.alukah.net/literature_language/0/115084/" \l "_ftnref20) المرجع السابق ص 17

Bas du formulaire